فصلية علمية- محكمة نصف سنوية. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*. السنة السادس، العدد الأول (المتوالي ١١)
خريف و شتاء ١٤٠١ ش/ ١٤٤٤ ق. من صفحة ١ الى ١٢

Biannual Scientific Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*.
Vol. 6, No. 1, (Issue 11) Autumn & Winter 2022; pp. 1-12

مقالة پژوهشی **Original Research**

تعارض العدالة في الصحة الروحية للمرضى ذوي الأمراض المستعصية، بالتركيز على نهج‌البلاغة

سيد روح‌الله موسوی‌زاده[١]، محمّد تركان*[٢]

تأريخ الاستلام: ١٤٤٣/١١/١٨ تأريخ القبول: ١٤٤٤/٠٦/٢٨

١. الأستاذ المساعد المعارف الإسلامية، جامعة العلوم الطبية، أصفهان، إيران
٢. طالب الدكتوراه المعارف الإسلامية والعلوم الصحية، جامعة العلوم الطبية، أصفهان، إيران

The conflict of justice in the spiritual health of incurable patients with emphasis on Nahj al-Balagheh

Seyed Rohollah Mosavizadeh[1], Mohammad Torkan*[2]

Received: 2022/06/18 **Accepted: 2023/01/21**

1. Assistant Professor of Islamic Education, Isfahan University of Medical Sciences, Isfahan,Iran
2. Ph.D. student in Islamic Teaching and Health Sciences, Isfahan University of Medical Sciences, Isfahan, Iran

10.30473/ANB.2024.68292.1370

الملخص

تُسَبِّبُ الأمراضُ المستعصية تغييرات حادة لدى المريض على مختلف الأبعاد الاقتصادية والأسرية والاجتماعية والنفسية. تؤدي هذه التغييرات في معتقدات المريض الدينية إلى صراعات روحية واسعة النطاق. لقد خَلَقَتِ الصراعات الروحية معتقدات جديدة في مجال الأمراض المستعصية. إن تأكيد منظمة الصحة العالمية على وجود الصحة الروحية باعتبارها البعد الرابع للصحة، إلى جانب أبعاد الجسد والعقل والمجتمع، يضاعف ضرورة إعادة قراءة أوامر الإمام علی (عليه السلام) في حل الصراعات الروحية الناشئة. وفي الوقت نفسه، تلعب قضية "العدالة" دوراً كبيراً في خلق هذه الصراعات. إنّ تجارب المؤلفين السريرية في دراسة هذه الفئة من الموضوعات الفرعية التی ترتبط بالصحة الروحية، مثل سبب المرض، الله والمرض، حكمة المرض، الطبيعة الشريرة للمرض، أفعال الإنسان والمرض، والتی تُظهرُ نفسها في شكل أسئلة مثل «لماذا أنا؟، لماذا أنا وقد كنت جيدًا؟ لماذا الان؟ لماذا طفلی؟» يدلّ على أنّ الإجابة المنطقية على هذه الأسئلة المذكورة أعلاه، لها تأثير خطير للغاية في مجال الصحة الروحية. وقد تمت دراسة التحليل الفلسفی والدينی لمسألة العدالة والمرض، ضرورة القوانين الطبيعية، العلاقة بين الشر والمرض، أحكام الله الثابتة في المرض من وجهة نظر نهج البلاغة وعلى ضوء الصراعات الروحية، بما يتوافق مع الصحة الروحية للمرضى.

الكلمات الدليلية: العدل، العدل الإلهی، العدل والمرض، الصحة الروحية، التعارض الروحی.

Abstract

Incurable diseases cause severe changes in the patient and his family in various economic, family, social and psychological dimensions. These changes in the patient's religious beliefs lead to extensive spiritual conflicts. Spiritual conflicts in the field of incurable diseases have created new beliefs. The emphasis of the World Health Organization on the existence of spiritual health as the fourth dimension of health, along with the dimensions of body, mind and society, doubles the necessity of re-reading the statements of Imam Ali (peace be upon him) in resolving emerging spiritual conflicts. Meanwhile, the issue of "justice" plays a significant role in creating these conflicts. The authors' clinical experiences in examining this category in sub-topics such as the cause of disease, God and disease, the wisdom of disease, the evil nature of disease, human actions and disease, in the form of questions such as "Why me?" Why have I been good? why now? Why my child? It is related to spiritual health. Philosophical and religious analysis of the issue of justice, the necessity of natural laws, the mutual relationship between evil and disease; God's immutable laws in getting sick from the perspective of Nahj al-Balagheh have been examined in accordance with the spiritual conflicts of the justice of the patients in line with their spiritual health.

Keywords: Justice, Divine Justice, Justice and Illness, Spiritual Health, Spiritual Conflict.

* **نويسندهٔ مسئول:** محمّد تركان

***Corresponding Author:** Mohammad Torkan
Email: m. torkan110@gmail. com

المقدمة

تعتبر الحاجة إلى الروحانية والصحة الروحية أكثر فأكثر في عالم اليوم ويتم ذكرها كأحد الاحتياجات المهمة والأشياء المفقودة للمرء في الزمن الحاضر. (أحمدي فراز وآخرون، ٢٠١٦: ١٤)

وفي تحديد أبعاد الوجود الإنساني، تشير منظمة الصحة العالمية إلى الأبعاد الجسدية والعقلية والاجتماعية والروحية، وترى أن الحاجة إلى البعد الرابع، أي الروحانية، ضرورية لنمو الإنسان وتطوره (عزيزي، ٢٠١٧: ٤٢).). يولي أمير المؤمنين (ع) اهتماماً خاصاً بخلق وتحسين الصحة الروحية للمجتمع بالرجوع إلى القرآن الكريم (نهج البلاغة: الرسالة ٢٨). أدى انتشار الأمراض، وخاصة الأمراض المستعصية، إلى ظهور قضايا جديدة وناشئة في مجال المعتقدات الدينية. هذه الأمراض التي تُسَبِّبُ تغيرات شديدة للمريض وأسرته من جوانب عديدة مثل القضايا الاقتصادية والأسرية والاجتماعية واحترام الذات (أحمدي فراز وآخرون، ٢٠١٦: ١٧)، كما تُسَبِّبُ أن يتعرّض بعض الأشخاص للتسمم الداخلي والصراع الشخصي؛ الصراع الذي كلما أُصيبَ به الشخصُ يضع الأهداف غير المتسقة في حالة من التنافر المعرفي وتشعر بعدم الارتياح. يجد معظم المرضى ارتباطًا روحيًا خاصًا بالله أثناء الشدائد، ولكن من ناحية أخرى، تظهر العديد من الأفكار والمعتقدات الخاطئة مثل عدالة الله، والقضاء والقدر، والعبثية، وما إلى ذلك. والمعتقدات الخاطئة هي أصل الأسئلة الفلسفية مثل: "لماذا أنا؟ لماذا فَعَلَ اللهُ ذلک معي؟ لماذا الآن؟ أين عدالة الله؟" (موسوي زاده وآخرون، ٢٠١٦: ٣٦)

على سبيل المثال؛ يقول المريض في المستشفى: "كنتُ أعتقد دائمًا أنه لم يكن من المفترض أن أمرض. لقد كنت شخصًا جيدًا، فلماذا أنا مريض؟ إنني أعرف الكثير من الأشخاص الذين ليس لديهم أية مشكلة ويعيشون حياة صحية وصحيحة. لماذا يفرق الله بين عباده! وليس لله جواب في ابتلائي بهذا المرض! أنا غاضب تماما من الله. لم يعد لديّ أية علاقة مع الله. لن التجأ إليه أبداً" (موسوي زاده، ٢٠١٧: ٦٨)

استنادا إلى التجارب السريرية للمؤلفين، فإن معظم الناس، بما في ذلك المرضى، غير راضين عن مصيرهم. لأنهم في مخيلتهم وضعوا لأنفسهم مكانة عظيمة وأرادوا ذلك المصير، ولكن بما أنهم لم يصلوا إليه، لذلك يشتكون إلى الله تعالى ولا يرضون بمكانتهم وغير راضين عن الأحوال التي يعيشونها. وهذا الاستياء سيؤدي إلى عواقب غير مرغوب فيها. (بهرامي وآخرون، ٢٠١٦، ٣٦) وأحيانا يتغلب القدر الإلهي على حسابات البشر لدرجة أن التخطيط والتدبير سيؤدي إلى الضياع (الحكمة: ٤٥٩)

والحقيقة أن مصدر السُخط، وتمني عكس ما حدث، هو الجهل بحكمة الأمور ومصالحها؛ ولو تبينت مصالح الأمور لأشخاص كالمرضى، لم يتمنوا غير ما تحقق. لكن إذا كنا نتوقع من الإنسان أن يطور نفسه إلى الحد الذي يكون راضيا بما حدث –حتى وإن كان هو جاهلا الحكمة من هذا الحدث– فهذا توقع بعيد، لأن هذا التصرف صعب جدا. (البحراني ١٩٩٩: ١١٥) فالرضا عن الله له أهمية مؤثرة بحيث يعتبر المؤشر الرئيسي للسّعادة. (الحكمة: ٤٤)

ويقدم الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة نموذجاً فريداً عن الصراع بين العدل والمرض؛ بحيث يجيب بوضوح على مثل هذه الأسئلة المهمة. إذ إن التحليل العميق الذي يقدمه الإمام يدلّ على أن الإنسان الذي يعاني من الشدائد لا يعني الوقوع في العقاب الإلهي، ومن كان أكثر راحة وأبعد عن المشاكل يعني التمتع بنِعَمِ الله، بل يمكن أن يكون على حد قول الإمام: «رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَى، وَرُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى» (الحكمة: ٢٧٣)

المفاهيم النظرية للبحث

ونظرا لأهمية الموضوع والشرح التفصيلي للمسألة، فقد قام كُتّابُ هذا المقال أولا بتعريف بعض المصطلحات المستخدمة في هذا المقال:

العدالة

والعدل في اللغة والاصطلاح له معان مختلفة، منها: "وضع كل شيء في مكانه"، "الحد الوسط بين الحد الإفراط والتفريط". (آذرنوش، ١٩٩٩: ٦٦٥) كما تدل العدالة

على «التوزيع بالتساوي»، و«مراعاة المساواة في مكافأة الآخرين ومعاقبتهم؛ فإن كان عملاً صالحاً أُثيبَ عليه، وإن كان سيئاً عوقب عليه (راغب الأصفهاني، ٢٠٠٨: ٣٢٥) وعندما سئل الإمام علي (عليه السلام) عن سيادة العدل، قال "وضع كل شيء في مكانه" (الحكمة: ٤٣٧). وأيضاً استناداً بآية ٩٠ من سورة النحل، يتم تفسير العدل بالإنصاف.

أنواع العدالة

من خلال دراسة التعاليم الإسلامية، بما في ذلك أحاديث الرسول الكريم في نهج البلاغة، يمكن فحص عدالة الله في ثلاثة مجالات مهمة: التنمية، والتشريع، الثواب والعقاب.

العدل في الخلق: فيما يتعلق بعدالة خلق الله، يقول الإمام علي: «فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الماءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ وَالِهاً، وَفِكْرُهُ حَائِراً» (الخطبة: ١٦٠)

العدل في التشريع: قال الإمام على عليه السلام في إشارة إلى الغاية من إرسال الأنبياء الإلهيين: «فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ وَأَحْدَاثٍ تَتَتَابَعُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيّ مُرْسَل أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ» (الخطبة: ١)

العدل في العقاب والثواب: تارة يطرح بصيغة تناسب العقاب والثواب مع أفعال الأفراد: «وَأَيْمُ اللهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَة مِنْ عَيْش فَزَالَ عَنْهُمْ إِلّا بِذُنُوب اجْتَرَحُوهَا، لاَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاّم لِلْعَبِيدِ» (الخطبة: ١٧٨) وتارة يتم التأكيد على مساواة القضاء بمعنى عدم التمييز والمساواة في الحقوق: «مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْر أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً. إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ. وَمَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَد مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ» (الخطبة: ١٩٢)

العدل والمرض

العدالة هى أحدى المبادئ الأربعة لأخلاقيات الطب العالمية. المعنى الرئيسي للعدالة هو أن يوفر الظروف والإمكانيات الصحية لجميع المرضى على حدّ سواء بحيث يتم الحفاظ عليهم قدر الإمكان في صحة جيدة وبعيدين عن المرض، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات: التوزيع العادل للأموال، والعدالة في مراعاة حقوق الناس، والعدالة في تطبيق القوانين الأخلاقية المقبولة. (لاريجاني، ٢٠١٢، ٧٧/٢) وهذا التعريف للعدالة يرتبط في الغالب بالمعالج، بحيث يجب أن يركز تركيزا أساسيا علي تقديم الخدمات العلاجية للمريض. ولكن المقصود في هذه المقالة هو العدالة الإلهية في المرض الذي يسبب الصراعات الروحية لدى المريض.

الروحانية[1]

الروحانية هي نظام اعتقاد وعمل مبني على معاني وقيم ديناميكية ومحبة وارتباطات عميقة مع الله والنفس، والخلق مع الخلق في اتجاه القرب من الله، مما يجعل للحياة قيمة وللموت معنى. (أحمدي فراز وآخرون، ٢٠١٦: ٢٣)

الرعاية الروحيّة[2]

والرعاية الروحية تعنى جعل علاقات الإنسان الأربع مع الله: النفس، والخلق، والخلق ذات معنى، ذات معنى، وذلك للوصول إلى نظام اعتقادي وعملي يجعل للحياة قيمة، وللموت معنى في ظل القرب من الله. (المرجع نفسه: ٢٩)

الصحة الروحيّة[3]

ولا تقتصر الصحة الروحية على غياب الانزعاج الروحي فحسب، بل هي حالة ذات مستويات مختلفة تؤدي- وفقًا لقدرات وإمكانات الفرد- إلى تحسين نوعية علاقة

1. Spirituality
2. Spiritual care
3. Spiritual healt

الإنسان بالله ونفسه والخلق، كما وكذلك تحسن صحته الجسدية والعقلية والاجتماعية، مما يؤدي في النهاية إلى قيمة الحياة ومعنى الموت في ظل القرب من الله. (موسوي زاده، ٢٠١٧: ٣٠)

الإنزعاج الروحي[1]

وهو الارتباك في معتقدات الفرد وعدم الاتساق ضمن مجموعة القيم المقبولة، وكذلك عدم الانسجام بين منظومة القيم وسلوك الفرد، مما يؤدي إلى اضطراب علاقته بالله ونفسه والخلق، وأخيرًا، فهو يؤثر على جميع أبعاد الوجود الإنساني (الجسدي، النفسي، والاجتماعي). (موسويزاده وآخرون، ٣٥: ٢٠١٦)

الصراع[2]

يُطلق على الوجود المتزامن لدوافع الرغبات والاتجاهات المتعارضة اسم «الصراع» (براهني وآخرون، ٢٠١٧: ٦٩٧). بعبارة أكثر وضوحًا، فإن "الصراع" هو الاختلاف العام أو الجزئي أو الحقيقي أو العاطفي بين الأدوار والأهداف والنوايا والمصالح للشخص الواحد أو أكثر من الأفراد والجماعات (غنجي، ٢٠١٨: ٢٠٥). وتكون هذه الصراعات أحيانًا داخل الأفراد، وأحيانًا داخل المجموعة، وأحيانًا بين الأفراد، وأحيانًا بين المجموعات. في الصراع الشخصي، يكون لدى الإنسان صراع مع نفسه، أي يتعرض الإنسان لأهداف غير متوافقة أو في حالة تنافر معرفي ويشعر بعدم الارتياح. (موسوي زاده وآخرون، ٢٠١٦: ٣٦). أصل هذه الصراعات يأتي أحيانًا من العلاقات بين الأشخاص وأحيانًا يأتي من الاختلافات الفكرية. فالارتباك في الأفكار وعدم تحليل الصعوبة والمرض يسبب الصراع. (ساييني، ٢٠١٧: ٨٤) ونتائج هذه الصراعات التي لم يتم حلها، تسبب اختلافات سلوكية وأمراض نفسية جسدية، مما يؤدي إلى القلق والفشل والعدوانية وغيرها. (غنجي، ٢٠١٤: ١٣٣)

أنواع الصراع بين العدل والمرض

يتجلى الصراع بين العدل والمرض في العلاقات الأربعة الرئيسية مع الله في: تحدي العلاقة بين الله والمرض ؛ أما فيمل يتعلق بعلاقة المرض مع المريض، يتجلى الصراع في مسألتين، علاقة الذنب بالمرض، وعلاقة صاحب العمل الصالح والسيئ بالمريض؛ وفيما يتعلق بالآخرين، يتجلى الصراع بموضوع سبب مرض الأطفال؛ وفيما يتعلق بالطبيعة، يتجلى الصراع في عبثية المرض في عالم الخلق، وكذلك العدالة الزمنية.

نماذج من الأسئلة

التحدي الأهم هو في مجال العدالة وفي العلاقة مع الله، والذي يمثل في هذه الأسئلة: (موسويزاده وآخرون، ٢٠١٦: ٣٥)

لماذا غير المتدينين أصحاء وأنا المتدين محروم من نعمة الصحة؟!

أين عدالة الله في هذا المرض؟

صحيح أنني ارتكبت بعض الخطايا، لكن أية عدالة بين مرضي وخطاياي؟!

لماذا جعلني الله مريضا بلا سبب؟

تحليل عدالة الله

لقد تم التأكيد دائمًا على مسألة العدالة باعتبارها جزءًا مهمًا من القضايا الدينية الأساسية من قبل رجال الدين. إنّ أقوال الإمام علي (عليه السلام) في شرح مسألة "العدل الإلهي" تُعَدُّ حلا للصراع بين العدالة والمرض، بحيث يمكن دراسة التحديات المقبلة والإجابة عليها من منظور علمي في ضوء هذه الأقوال الحكيمة. ونذكر هنا اثنين من أهم القوانين الفلسفية المتعلقة بالمناقشة.

أ. ضرورة قوانين الخلق

بناء على أقوال الامام علي (عليه السلام) فقد تم تحديد نظام محدد ودقيق لخلق العالم والقضايا التي تجري فيه، والوجودُ كله له قانون ونظام معين. وبناء على ذلك، هناك إيقاع دقيق ومصير قابل للقياس في جميع أنحاء العالم. كل ظاهرة في هذا العالم تتحرك وفق هدفها الخاص ولا يحدث شيء خارجه. لقد خَلَقَ اللهُ الخلقَ بقياسات دقيقة، وأمرهم بلطف، وأحسن تدبيرهم، وحرّك كل ظاهرة لنفس

1. Spiritual distress
2. Conflict

الغرض الذي خُلِقَت له، بحيث لا تتجاوز حدودها ولا تقصر في الوصول إلى مراحل نموها، ورتّب هذه الحركة المحسوبة دون صعوبة حسب إرادته. " (الخطبة: ٩١) لدى الله طرق معينة في العالم بحيث لا يقوم أبدًا بالعمل خارج تلك الطرق. لا شيء يحدث في الكون خارج قوانين الخلق ولا شيء يخالف قوانين الكون ونظام الوجود. (مطهري، ١٩٩٧: ١١٤)

وفي تفسير آخر في الفلسفة وردت المصائب والمصاعب كقانون من قوانين الإلهي في الخلق، وتعتبر الفلسفةُ الجهدَ العلميَ والوعيَ الإنسانيَ دليلا على فهم هذه القوانين: «وَأَنَّ اَلدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلاَّ عَلَى مَا جَعَلَهَا اَللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ اَلنَّعْمَاءِ وَاَلاِبْتِلاَءِ وَاَلْجَزَاءِ فِي اَلْمَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لاَ نَعْلَمُ فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْ ءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ به فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ اَلْأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَ رَزَقَكَ وَسَوَّاكَ» (الرسالة: ٣١).

كما ثبت بدقة في علم الفلسفة أن كل كيان وكل حدث أو كل كائن داخل القانون المهم والأساسي هو "سببية" ونظام الوجود هو أيضا نظام "سبب وأسباب" بمعنى أن كل معلول له علتها الخاص وكل علة سوف تنتج عنه معلولها الخاص؛ ويؤكد الإمام على عليه السلام أيضاً على هذا المبدأ العقلي "كل كائن غير الله فهو معلول: «وكلُّ قائمٍ في سواهُ معلولٌ والباري تعالى قائمٌ بذاته» (الخطبة: ١٨٦). إنّ «مبدأ السببية والارتباط الضروري للأحداث مع بعضها البعض، وأنّ كل حدث قد أخذ تحقُّقَه، وكذلك مصيره وخصائصه الوجودية من الأمر أو الأمور التي سبقته»، فهو أمر مؤكد لا يمكن إنكاره. إن مبدأ السببية، ومبدأ الضرورة العلة والمعلول، ومبدأ التجانس بين العلة والمعلول، يجب أن يعتبر من المبادئ الأساسية في جميع العلوم الإنسانية. (مطهري، ١٩٩٧: ٣٨٣). وعليه فإن المرض ليس خارجاً عن قوانين الخلق ومبدأ السببية. في الواقع، وفقًا لقوانين الخلق، يتمتع جسم الإنسان بالقدرة على أن يكون في صحة جيدة، كما أن إمكانية الإصابة بالمرض لن تحدث خارج قوانين هذا العالم.

وعلى هذا، لن يكون أي حادث في العالم، بما في ذلك المرض، ظلماً من الله لعباده. "إن الله صادق في وعوده، وهو أعلى من أنه يسمح بظلم عباده. وأمر في "تنفيذ الأحكام العادلة" (الخطبة: ١٨٥)

ب. السُّنَنُ الإلهية

فقوانين الخلق، بما أنها مجردة من طبيعة الأشياء، ليست كالعقود التي يمكن انتهاكها، ولذلك يستحيل تحويله وتغييره. إن المخلوقات تتغير وتتحول باستمرار، أما أنظمة الطبيعة فهي ثابتة لا تتغير. إن المخلوقات تتغير وتتطور دائماً وتتوجه نحو مسارات مختلفة؛ فأحياناً يصلون إلى الكمال وأحياناً يتوقفون؛ في بعض الأحيان يذهبون بسرعة وأحيانا ببطء. عوامل مختلفة تغير مصيرهم.

وعلى هذا الأساس يشير الإمام علي (عليه السلام) إلى الأحاديث الإلهية المبنية على أحكام الله في العالم (الخطبة: ٩٠) وقد عرّف القرآن الكريم هذه الأنظمة والقوانين غير القابلة للتغيير بأنها "سنن إلهية". (سُنَّةُ اللهِ فِي الّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلا) (الأحزاب: ٦٢)

وبما أن هذه الأحاديث مأخوذة من نصوص الشرائع الإلهية في عالم الخلق فهي غير قابلة للتغيير: «إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ» (الخطبة: ١٥٧)

ولا يغفل مجموع النصوص الدينية، وخاصة نهج البلاغة، عن هذه المسألة التي تعترف بالنظام السببي للكون وتعتبر الأحداث والظواهر خاضعة لهذا النظام. وعلى هذا الأساس فإن الوعي والتعلم من حقائق الدنيا وتقاليدها هو من أوامر الدين (الحكمة: ٣١)

أمثلة من الأحاديث الإلهية عن المرض

ويشير الإمام على (عليه السلام) إلى مشروعية الخلق وتقليده، ويشير في بعض الأحيان إلى بعض هذه القوانين على أساس كل حالة على حدة. ومن هذه القواعد ما يلي:

تأثير العوامل البيولوجية على المرض

أحد التقاليد المحددة للخلق هو التركيز على التأثير البشري من خلال العوامل الطبيعية. وعليه فإن عدم الاهتمام بهذه

العوامل هو من سنن الأمراض التي تصيب الإنسان. وفي نهج البلاغة نصيحة واضحة: «تَوقَّوا البَرَدَ في أوَّلِهِ وَ تَلَقَّوهُ فِي آخِرِه، فَإنَّهُ يَفعَلُ فِي الأبدانِ كَما يَفعَلُ فِي الأغصانِ أوَّلُهُ يُحرِقُ وَآخِرُهُ يُورِقُ» (الحكمة: ١٢٨)

وهذا التفسير وأمثاله يعبر عن سبب الأمراض بشكل جميل. إن المرض ومعاناة تبعاته يُعَدّان من القوانين الموجودة في العالم بالضرورة. حيث أن الإنسان يدمر الطبيعة بتصرفاته الخاطئة الكثيرة في البيئة، التصرفات التي لا حدود لها، وتجاهل قواعد التعامل مع البيئة، ونتيجة لذلك فإنه يعاني من أمراض خطيرة. وفي الوقت الحاضر يعتبر الإنسان وأنشطته من أهم العوامل في إحداث التغيرات المناخية على سطح الأرض. إن التوسع العمراني وتطور المدن، إلى جانب تطور الأنشطة الصناعية والإفراط في استهلاك الوقود الحفري، أدى إلى زيادة كبيرة في التلوث وإحداث تغيير في تركيبة الغازات الفعالة في حياة كائنات الأرض، ومن نتائجها أمراض القلب بأنواعها المختلفة؛ التنفسية والرئوية والعينية وغيرها، وقد لاحظها الإنسان نفسه (الشعباني، ٢٠١٣: ٥٦)

العلاقة المتبادلة بين الجسد والعقل

مثال آخر على السنن الإلهية في القوانين التي تحكم العالم هو تقليد "العلاقة المتبادلة بين العقل والجسد". ففي هذه السُّنّة يُعَدُّ نكران الجميل عاملا روحيا يؤثر على الجسد (الحكمة: ١٣). كما يُعَدُّ الجحود عاملا مهما في تأثير الجسد على العقل والمعنوية. وما تراه العيون يسكن في القلب «فالقلب كتابُ العيون» (الحكمة: ٤٠٧)

يرتبط الجسد والروح ببعضهما البعض بشكل وثيق، ونتيجة لذلك فإن الانزعاجات والمشاكل التي تحدث لكل منهما تؤثر على الآخر. ومن الأمثلة على هذا الارتباط، الأمراض النفسية الجسدية. على سبيل المثال، قد يؤدي الضغط العصبي والانزعاج النفسي إلى الإصابة بقرحة المعدة أو أمراض جسدية أخرى. كما أن الأشخاص الذين يعانون من الاكتئاب يفرزون المزيد من الكورتون من الغدد الكظرية. هذه المادة الطبيعية تتداخل مع جهاز المناعة. وهو المسؤول عن الدفاع الرئيسي للجسم ضد السرطان والالتهابات والمستضدات الأخرى ويصل هذا التقليد والقانون في عالم اليوم إلى نتيجة منطقية (هارولد جي، ٢٠٠٦: ١٠٢). يصل هذا القانون في عالم اليوم إلى نتيجة منطقية مفادها أنه بسبب كثرة الاضطرابات اليوم، فإن الحاجة إلى الصحة البدنية تتزايد أيضًا. ولذلك، وفقاً للقوانين الثابتة، فإن جزءاً مهماً من أمراض الإنسان الجسدية هو نتيجة اضطراباته العقلية، وهذا لا يتعارض مع مسألة عدالة الله. أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على تأثير الجسد والعقل على بعضهما البعض، فيقول: «فان تقوى الله شفاء مرض أجسادكم» (الخطبة: ١٩٨). فالمتقي الذي يكتفي بحدوده وحقوقه نفسه مرتاحة وأعصابه أهدأ وقلبه أكثر صحة. ولا يبالي أين يأكل وأين يشرب، فالاضطرابات العصبية لا تجعله يعاني من قرحة معوية وقرحة في المعدة، ويصبح عمره أطول. إن صحة الجسد، وصحة الروح، وصحة المجتمع، كلها مرتبطة مباشرة بالتقوى. (مطهري ١٩٩٧، ٧٠٥/٢٣)

ويشير في مكان آخر إلى العلاقة المباشرة بين الرذائل الأخلاقية الداخلية وصحة الجسد: «الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ، عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ» (الحكمة: ٢٢٥) لدرجة أن هناك علاقة مباشرة بين الغيرة والمرض: «صِحَّةُ اَلْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ اَلْحَسَدِ» (الحكمة: ٢٥٦)

تأثر المجتمع من خيانة الأفراد

ومن السنن الإلهية الأخرى والقوانين الكونية الثابتة أنه إذا كان في أمة مترفون غرقوا في الفسق والإجرام والقسوة والشهوات، هلكت الأمة والجماعة كلها (الإسراء: ١٦). يقول الإمام علي (عليه السلام) في تشبيه فريد في ناقة ثمود: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا» (الخطبة: ٢٠١)

وبموجب هذا القانون الثابت فإن الأشخاص الذين يعطلون المسار الطبيعي للإنسان نتيجة الفسق والخيانة، يتسببون خسائر فادحة لتلك الأمة. كما أنّ الأشخاص المنتجين الذين يسعون وراء الربح والشهوة، يقومون بإنتاج منتجات غذائية وصحية التي تؤدي إلى أمراض مستعصية، أو يساهمون في التلوث من خلال إنتاج منتجات تقنية؛ والحقيقة أنها تسبب ضياع صحة تلك الأمة وتدميرها

وإصابتها بجميع أنواع الأمراض، وهذه الإصابة بالأمراض وآثارها، وخيانة بعض الناس من أجل الربح، هى جزء من السنن الإلهية والقوانين الثابتة في العالم. فلا ينبغي أن يُنسَبَ جهلاً هذه الخيانة، إلى الله تعالى. (رزمخاه، ٢٠١٣: ١٣٤) وعليه، يؤكد الإمام في إحدى خطبه أن سبب خلق عوامل خطرة في المجتمع أو إضاعة الحق الكبير في المجتمع من قبل الأقوياء، هو عدم اهتمام عامة الناس بخيانة بعض الأفراد. (الخطبة: ٢١٦)

الخير والشر في المرض

ومن المسائل المهمة المتعلقة بمسألة "العدل والمرض"، فحص طبيعة المرض الشريرة؛ هل المرض شر؟ وهل المرض ليس له شيئ من الخير؟

الشر في المرض

إنّ جوهرة الوجود تعتمد على الصحة. وتصبح الصحة ذات معنى بجانب المرض. وتجدر الإشارة إلى أنه من حيث مبدأ السببية، إن أسباب المرض، بما في ذلك جميع أنواع الميكروبات والبكتيريا والخلايا السرطانية وغيرها، رغم أنها موجودة بالفعل، إلا أنها معدومة لأنها مصدر لعدم وجود الصحة وجذر للعدم. وعلى هذا فلا يوجد شر بمعنى الشر المطلق في العالم، بل الشر (المرض) شيء نسبي وهو في الأساس خير (صحة)، ونتيجة لذلك الخير يُخْلَقُ الشر. (مطهري، ١٩٩٧: ١٥٦)

الخير في المرض

الأمراض هي شرور وجودية؛ وهي خير في وجودها وشر لغيرها، كما قيل أن جانبها الشرير نسبي وإضافي، وهو جزء لا يتجزأ من وجودها الحقيقي ولا ينفصل عن جانب الخير فيها. لا شك أن الألم باعتباره سبباً للمرض ليس أمراً مرغوباً فيه، ويجب على الإنسان أن يتخلص منه. والسؤال الذي يطرح هت هو: كيف يمكن أن يكون الألم أو المرض خيراً من الناحية الروحية؟ يمكن أن يكون الألم الروحي أو الجسديُّ نعمة تؤدي إلى الوعي والصحوة. فأيُّ شخص يعاني من الألم، بقدر ما يعاني من الألم في العالم، فهو أكثر يقظة ووعيًا من الأشخاص الذين لا يعانون من الألم. عدم الألم يساوي الخدر وعدم الإحساس وعدم الفهم، أما الشعور بالألم فهو يساوي الوعى والإدراك. هل يفضل الإنسان أن يكون يقظاً واعياً ولكنه يشعر بالألم، أم أن يكون فاقداً للوعي وغير واع ولا يشعر بالألم! (مطهري، ١٩٩٧: ١٣٢) لذلك فإن المرض بكل ما فيه من المصاعب والمعاناة يمكن أن يكون له فوائد وآثار كثيرة. (قدردان القراملكي، ٢٠١٢: ١١٠) ولعل المعنى العميق لقوله «اِمْشِ بدَائِكَ، مَا مَشَى بِكَ» (الحكمة: ٢٦)؛ يشير إلى مبدأ القبول الإيجابي للألم والمرض باعتباره جانبًا جيدًا للمرض.

وقد تم تجربة هذا النهج أيضًا في كلمات المرضى أنفسهم: "صحيح أن المرض صعب جدًا وقد أدى إلى آثار سلبية كثيرة بالنسبة لي، لكنني لا أتعب أبدًا لأنني على اتصال دائم بالله". أشعر دائمًا أن مرضي يقرّبني من الله. أعتبر المرض نعمة إلهية جعلتني أذكر الله أكثر وأدعوه أكثر. أنا صرتُ صديقا له. على أية حال أشكره، صحيح أنه أخذ مني نعمة، لكنه في المقابل أعطاني الكثير من النعم. " (بهرامي وآخرون، ٢٠١٦: ٤).

إن دراسة الآثار الإيجابية للمرض والتأكيد عليها للمريض، تقوم على هذا المبدأ. ولما قال الامام علي (عليه السلام) لرجل من أصحابه وهو مريض: «جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ [مِنْكَ] مِنْ شَكْوَاكَ حَطّاً لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ وَلَكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ وَيَحُتُّهَا حَتَّ الْأَوْرَاقِ، وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ. وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ». (الحكمة: ٤٢)

وبحسب نهج البلاغ فإن الكثير من الأحداث المؤسفة في العالم لها طابع الاختبار. في الواقع، نتيجة لمرض المريض، يتم أيضًا إنشاء اختبارات إلهية. فإذا انتبه المريض إلى إيجابيات المرض وتعلَّم منها، يمكن أن يخرج منتصراً من هذا المرض، وإذا انتبه إلى الجوانب الشريرة في المرض لا يستطيع أن يخرج من هذا الاختبار بنجاح. (الخطبة: ٩١).

هذه الاختبارات موجودة كقاعدة عامة. سواء في المرض أو في الصحة. ولا يخرج من دائرة العدل الإلهي ولا يؤدي إلى الظلم الإلهي: «أيُّها النّاسُ، إنّ اللهَ قد أعاذَكُم

مِن أنْ يَجورَ علَيكُم ولَم يُعذِكُم مِن أنْ يَبْتليَكُم، وقد قالَ جَلَّ مِن قائل : (إنّ في ذلك لآياتٍ و إن كُنّا لَمُبتَلينَ)» (الخطبة: ١٠٣) لذلك، يتم اختبار كل شخص في هذا العالم. سواء في المرض أو في غير المرض.

الإنجازات

وبالنظر إلى تعارض العدالة في اعتقاد المرضى واستناداً إلى النموذج الوارد من وجهة نظر الإمام علي (عليه السلام)، فإن هناك إمكانية علمية لحل هذه الصراعات وتحويل الانزعاج الروحي للمرضى إلى الصحة الروحية. وفقاً للتجارب السريرية والتواصل المباشر مع المرضى غير القابلين للشفاء، فإن أهم المعتقدات الخاطئة لدى المرضى والتي تؤدي إلى التعارض بين العدالة والمرض هي:

١) العامل الرئيسي للصراع بين العدالة والمرض هو الإيمان بالجبر في العالم

يعتقد بعض المرضى أنه كما أن الله هو خالق الإنسان، فإن مرض الإنسان هو بالتأكيد من الله؛ باعتباره أحد ممتلكات وجوده. إنّ الله فعّال لما يشاء في هذا العالم، لذلك لا يوجد شخص مريض أو أي شخص في هذا العالم يجابهه أو يخاصمه. ليس للمريض دور في الإصابة بالمرض، ومهما حاول الهروب من المرض فلن يجدي نفعاً أبداً! وهناك من المرضى مَن يقول: "أنا عديم الفائدة في هذا العالم"؛ لأن الله فعّال لما يريد، فلا أنا ولا أي شخص آخر له علاقة بشؤون هذا العالم. ليس لي دور في المرض ومهما حاولت الهروب من براثن المرض فلن يجدي نفعا؛ لأن الله هو الذي يمرضني بأدنى تلميح وسيشفيني متى شاء. إرادتي تحت مشيئة الله، فلا أملك إرادة، بل أنا كدمية، أتحرك من جانب إلى آخر في الظاهر!" (موسوي زاده وآخرون، ٢٠١٩: ٨٣).

إنّ إمام علي عليه السلام يشير بوضوح في تبديد الاعتقاد بالجبر في أحداث العالم إلى إرادة الإنسان الحرة ويذكر أن أحداث هذا العالم تجري باختيار الرجال. فقال رداً على رجل من الشام: «وَيْحَكَ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِماً وَقَدَراً حَاتِماً لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً وَكَلَّفَ يسِيراً وَلَمْ يكَلِّفْ عَسِيراً وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً وَلَمْ يعْصَ مَغْلُوباً وَلَمْ يطَعْ مُكْرِهاً وَلَمْ يرْسِلِ الْأَنْبِياءَ لَعِباً وَلَمْ ينْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً- وَلَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَينَهُمَا بَاطِلًا ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» (الحكمة: ٧٨)

وفقا لعقلية العديد من المرضى غير القابلين للشفاء، يمكن تحليل الصراع بين العدالة والمرض بهذه الطريقة.

علاقة المرض وقانون السببية

"السببية" هي نوع من العلاقة بين شيئين، أحدهما يسمى "السبب" والآخر يسمى "النتيجة". فحاجة المعلول إلى السبب هي أشد الحاجة، لأن الحاجة هي جوهر الوجود. وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «كلُّ قائمٍ فِي سِوَاهُ مَعلُولٌ» (الخطبة: ١٨٦).

وعلى هذا القول فإن كل ظاهرة هي نتيجة وكل أثر يحتاج إلى سبب، أي إذا كان ذات الشيء لم يكن مساوياً للوجود بل كان الوجود قد فُرِضَ عليه، فقد أوجده عامل نسميه العلةَ، نتيجة لذلك، لا توجد ظاهرة بدون سبب. وفيما يتعلق بالمرض، يمكن ذكر مبدأ اختيار المريض وسلطته كسبب للمرض. ولعل سبب المرض هو غفلة الإنسان، وعلى قول الإمام علي (عليه السلام) فإنه ينسب إلى الله جهلا.

لقد أكّد الإمام على في نهج البلاغة على ممارسة الفرائض الدينية ومراعاة الحدود الإلهية، والتي يمكن أن تكون فعالة للغاية في الوقاية من المرض: «إِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا» (الحكمة: ١٠٥)

وفي كثير من الحالات يلاحَظُ أن المرضى ينسبون عيوبهم إلى الله. ربما يعود سبب مَرَضِ المريض إلى الماضي؟ وربما كثير من عوالم الأمراض خلقها الإنسان بنفسه بسبب تخليه عن واجبات حياته. كما يؤكد نهج البلاغة أيضاً أن عدم القيام التكاليف يمكن أن يزيل الصحة عن الإنسان، ويسبب له المرض: «تَوَقَّوُا الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ وَتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الْأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي الْأَشْجَارِ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وَآخِرُهُ يُورِقُ». (الحكمة: ١٢٨)

٢) مسؤولية الإنسان الحرة عن الصحة والمرض

إنّ فريقا من المسلمين ينكرون حرية الإنسان واختياره، ويوجد عند هؤلاء نوعًا من الإيمان بالحكم الإلهي والقدر الذي يتعارض تمامًا مع حرية الإنسان. فهم ينكرون مبدأ السبب والنتيجة، والسبب والمسبب في النظام العام للعالم وفي نظام السلوك البشري، ويعتقدون أن الحكم الإلهي يعمل بشكل مباشر وبلا واسطة؛ لذلك فإن الله هو الذي يسبب المرض للمريض. يكثر هذا السؤال بين المرضى: كيف يصل بعض من الناس إلى مرحلة كبار السن ولا يصابون بالمرض والبعض الآخر يمرضون منذ صغر سنّهم، أو يكون بعض الناس أغنياء وبعضهم الآخر فقراء ومحتاجين؟! أليست هذه الفوارق منافية لمبدأ العدالة الإلهية؟ أليس من مقتضيات العدالة الإلهية أن يكون الناس متساويين في الأموال والأعمار والأولاد والمدارج الاجتماعية والشهرة والشعبية؟ وأليس هناك اختلافات كثيرة؟! "أشعر بالذنب الشديد. ماذا فعلت حتى أعاقب بهذه الطريقة؟ يقولون لي: راجع نفسك وما فعلته حتى تفهم لماذا فعل الله هكذا بك. ومهما كان اعتقادي، فأنا أرى أنني كنت فقيرًا وبائسًا في العالم والآن صرتُ مرضت، لكنني أعرف الكثير من الناس الأغنياء والمذنبين، لكنهم أصحاء وبلا مرض. لم أعد أؤمن بعدالة الله!" (بهرامي وآخرون، ٢٠١٦: ٤)

هذه الالتباسات والتساؤلات التي تنشأ لدى المرضى هي بسبب عدم الاهتمام بنوعية القضاء والقدر، حيث يتصور السائل أن القدر الإلهي يتصرف بشكل مباشر؛ على سبيل المثال، إنّ الثروة يحملها الله مباشرة من خزانة الغيب، دون وساطة أي سبب أو وكيل، ويوزعه على بيوت الناس، وكذلك الصحة والجمال والسلطة والمناصب والشعبية والأولاد وغيرها من النعم. ووفقاً لمنهج نهج البلاغة، أنشأ الحكمُ الإلهي نظاماً قانونياً في العالم، وأصبح مصدراً لسلسلة من السنن والقوانين. وعلى الجميع أن يطلبوا ما يريدون من خلال نفس النظام ونفس السنن والقوانين.

يجيب الامام علي (عليه السلام) على كثير من المسائل العلمية المتعلقة بأصل الأجناس والاختلافات النفسية والجسدية بين البشر في مسألة العدل الإلهي الذي له أسباب وعوامل طبيعية ويتعلق بالاختيار ونوع التغذية والأحوال الجغرافية للبيئة: «إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخ أَرْضٍ وَعَذْيِهَا وَ زُنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا؛ فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ؛ فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْل، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَل قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ» (الخطبة: ٢٣٤)

وفي بعض الأحيان تنشأ هذه الغموض والتساؤلات بسبب الجهل بمكانة الإنسان ككائن مسؤول ومجتهد، الذي يسعى لتحسين حياته ومحاربة عوامل الطبيعة من جهة، ومحاربة عوامل الشر الاجتماعي والآثام وظلم الآخرين من جهة أخرى. ومن ناحية أخرى. وعلى هذا الأساس فإن الاستفادة من العوامل الطبيعية في العالم يمكن أن توجد بشكل عادل للإنسان وفي بعض الحالات يمكن أن تكون عامل علاج ووقاية من الأمراض (الحكمة: ٤٠٠)لذلك، سواء في نظام الخلق أو في نظام التشريع، فإن الله يتصرف بالعدل ولا يظلم.

ويبدو أن المشكلة الأساسية في خلق مثل هذه المعتقدات الخاطئة هى أن المرضى لم ينتبهوا إلى حقيقة أن الله قادر بقدر ما هو حكيم، وأن الحكمة الإلهية ضرورة للأمر الإلهي: «الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا وَعَدَلَ فِي كُلّ مَا قَضَى وَعَلِمَ مَا [بِمَا] يَمْضِي وَمَا مَضَى؛ مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ، بِلَا اقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ وَلَا احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ وَلَا إِصَابَةِ خَطَإٍ وَلَا حَضْرَةِ مَلَإٍ». (الخطبة: ١٩١)

وعليه فإن المرض، كغيره من الأمور، له عوامله الطبيعية، ويستند إلى القوانين الطبيعية الضرورية التي وضعت في العالم. وبالطبع هذا لا يعني حذفَ الله والعوامل الروحية من المعادلة، لأنّ الله «أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ وَيَعْفُو بِحِلْمٍ» (الخطبة: ١٠٦)

كما أن هناك سُنَنٌ إلهية في العالم مثل الإرادة الحرة

وعدم الجبر، لها أثرها الفعال في أحداث الحياة. مما لا شك فيه أن الإنسان مستقل تماماً في شؤون حياته، ولم يجبره الله على فعل أي شيء، ولذلك، رغم وجود مثل هذه السلطة، فإنه سيكون مسؤولاً ومحاسباً على أي عمل يقوم به بإرادته الحرة. . وكما هو واضح، يستطيع الإنسان، باستخدام قوة العقل والتفكير والتمييز، أن يختار أحد الطرق المختلفة كما يشاء. وعلى هذا الأساس فهو مسؤول عما يمتلكه، ومنها الصحة: «يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ وَمَنْ قَصَّرَ عَنْهُ خَاطَرَ بِزَوَالِ اَلنِّعْمَةِ وَتَعَجُّلِ اَلْعُقُوبَةِ فَلْيَرَاكُمُ اَللَّهُ مِنَ اَلنِّعْمَةِ وَجِلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ اَلذُّنُوبِ فَرِقِينَ» (الحكمة: ٢٤٤) وإذا سلك شخصٌ طريقًا خاطئًا وأدى هذا المسارُ نفسُه في النهاية إلى مرضه، فإنّ هذا يرتبط بشكل مباشر بإرادة الإنسان.

الخاتمة والاستنتاجات

إن الانتشار المتزايد للأمراض المستعصية ذات العلاج الصعب، مثل مختلف أنواع السرطان، ونقص المناعة الخَلقية، وأمراض الثلاسيميا وغيرها، أدى إلى خلق حالات معقدة لدى المرضى. كما أن طول فترة العلاج والتكاليف الباهضة للعلاج والتأثير المباشر للمرض على تعطيل عملية الحياة الطبيعية وجعل الظروف صعبة حتى الوصول إلى خط النهاية، كل هذه العوامل تعمل جنبا إلى جنب بحيث لا يقتصر الأمر فقط على مقاومة المريض للظروف الصعبة أثناء المرض، فهي تقل بشكل كبير، ولكنها من ناحية أخرى تؤثر أيضًا على معتقدات المريض إلى الحد الذي يفقد فيه المريض سلامته النفسية من خلال إجراء مقارنات غير صحيحة و. . . وفي هذه الأثناء فإن عدم فهم المريض للعدالة الإلهية وظروف مرضه الصعبة تجعله يصدر أحكاماً سابقة لأوانها. وكما يقول أحياناً الله أمرضني مع أنني كنت متديناً وملتزماً بالشؤون الدينية، بينما الناس غيرُ الملتزمين أصحاء ولا يمرضون أبداً. ويعتقد أحيانًا أن الطفل البريء الذي لم يرتكب أية خطيئة أمام الله لا ينبغي أن يصاب بأمراض غير قابلة للشفاء. كما أنه يعترض على عدم إصابة المذنبين بالمرض. وأخيرًا، يطرح في ذهنه سؤال مهم، كيف ينطبق عدالة الله في مثل هذه الحالات؟ وفي البحث الحالي تم تناول التحدي الروحي والرئيسي للمرضى في مجال الأمراض المستعصية، أي مسألة العدالة الإلهية، من خلال التركيز على أقوال الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة. ووفقاً للمنهج العلوي، فإن النظام القائم في العالم يقوم على نظام السبب والنتيجة، أو نظام الأسباب والمسببات، والذي بموجبه لا ينشأ أيُّ أثر إلا من خلال سببه، ولا يستثنى أي أثر من هذه القاعدة.

إن ظاهرة المرض يتبع نفس القانون، حيث أن العديد من العوامل مثل قلة النظافة وسوء التغذية والوراثة وغيرها هي أسباب للأمراض المستعصية. ولذلك فإن انتساب المرض إلى الله بصورة مباشرة بمعنى إزالة الشرائع والتقاليد الإلهية في العالم، أمر خاطئ، لأنّ هذه الرؤية تؤدي إلى الصراع الروحي حول العدالة الإلهية في الأمراض. لقد أكد الإمام علي عليه السلام على أهمية مبدأ الإرادة الحرة والاختيارات من خلال التأكيد على الدور الاختياري للإنسان، ويفسر العوامل والظواهر الحالية في هذا العالم على هذا الأساس. ولهذا يكون الإنسان مسؤولاً عما يحدث له من أحداث. فالمسؤولية تعني وجود قوانين ثابتة وتقاليد إلهية كقوانين طبيعية في العالم، ولا بد لها من الاختيار الإنساني والإرادة الحرة. وعلى هذا فإن شرح هذا الرأي وتعزيزه بين المرضى الذين لديهم تعارض بين العدل والمرض يمكن أن يؤدي إلى علاقة حقيقية وأصيلة مع الله، وبالتالي ترسيخ الصحة الروحية لهم. الصحة الروحية لدى المرضى تؤدي إلى تحسين نوعية علاقة المريض بالله ونفسه والخلق، كما تؤدي إلى تحسين صحته الجسدية والعقلية والاجتماعية، والنتيجة النهائية لها هي أن الحياة تكون لها قيمة وأنّ الموت يكون له معنى، وذلك في ظل القرب من الله.

المصادر

القرآن كريم.

نهج البلاغه.

آذرنوش، آذرتاش. (١٣٧٩). القاموس المعاصر عربي- فارسي. طهران: دار ني. [بالفارسية]

أحمدي فراز، محمّد مهدي؛ شعربافچي زاده، محمّدرضا؛ موسوي زاده، سيد روح الله؛ رئيسي، نگار؛ قادري، سليمان و شيرواني، عباسعلي. (١٣٩٦). مقدمة لأساسيات الرعاية الروحية. أصفهان: دار جامعة العلوم الطبية. [بالفارسية]

بحراني، حسين بن علي. (١٣٧٩). السلوك العرفانية في سيره أهل البيت(ع). قم: دار وثوق. [بالفارسية]

بهرامي، مسعود؛ موسوي زاده، سيد روح الله؛ احمدي فراز، محمّد مهدي و شيرواني، عباسعلي. (١٣٩٦). قلق المرضى الإيرانيين المسلمين المصابين بالسرطان في المرحلة الأخيرة من حياتهم؛ دراسة نوعية. فصلية عيادة التمريض والقبالة. ش ٤ . ص٤١-٣٢ . [بالفارسية]

راغب اصفهاني، حسين بن محمّد. (١٣٨٨). المفردات. ترجمة: سيّد غلامرضا خسروي. لامک. مرتضوي. [بالفارسية]

رزمخواه، نجمه؛ عباسي، محمود و حيدري، بهاره. (١٣٩٣). المنتجات الغذائية المعدلة وراثيا والتحديات القادمة من وجهة نظر أخلاقيات البيولوجيا والحق في الغذاء. فصلية أخلاقيات البيولوجيا. ش١٢. ص ١٦٤- ١٣٣ . [بالفارسية]

رشاد، علي اكبر؛ جوادي آملي، عبدالله؛ عسكري، سيد مرتضي؛ استادي، رضا؛ شهيدي، سيد جعفر؛ معرفت، محمدهادي. (١٣٨٥). موسوعة الإمام علي(ع). طهران: منشورات معهد أبحاث الثقافة والفكر الإسلامي. [بالفارسية]

شباني، شهناز و عزتيان، ويكتوريا. (١٣٩٠). العلاقة بين الأمراض والعناصر المناخية وملوثات الغلاف الجوي في محافظة أصفهان. فصلية سبهر. ش٨٠. ص ٥٦- ٤٧ . [بالفارسية]

صانعي، سيد مهدي. (١٣٨٧). الصحة النفسية في الإسلام. قم: منشورات بوستان الكتاب. [بالفارسية]

عباسي، محمود؛ زماني، مهدي و گنج بخش، مجيد. (١٣٨٨). العدالة في الصحة ومكانتها في أخلاقيات الطب. فصلية أخلاقيات الطب. ش١٠. ص ٣٣-١١ . [بالفارسية]

عزيزي، فريدون. (١٣٩٧). موسوعة الصحة الروحية الإسلامية. طهران: منشورات جامعة الشهيد بهشتي للعلوم الطبية. [بالفارسية]

قدردان قراملكي، محمّد حسن. (١٣٩٢). العدالة الإلهية (الرد على الشكوك اللاهوتية). قم: منشورات معهد أبحاث الثقافة والفكر الإسلامي. [بالفارسية]

غنجي، حمزه. (١٣٩٧). الصحة الروحية. طهران: دار ارسباران. [بالفارسية]

ـــــــــــ . (١٣٩٨). علم النفس العام. طهران: دار ساوالان. [بالفارسية]

لاريجاني، باقر. (١٣٩٢). الطبيب والملاحظات الأخلاقية. ج٢ . طهران: دار للغد. [بالفارسية]

مطهري، مرتضي. (١٣٧٧). الإنسان كامل. قم: دار صدرا. [بالفارسية]

ـــــــــــ . (١٣٧٧). الإنسان والمصير. قم: دار صدرا. [بالفارسية]

ـــــــــــ . (١٣٧٧). العدل الإلهي . قم: دار صدرا. [بالفارسية]

ـــــــــــ . (١٣٧٧). مجموعة الآثار(الخطب العشرة). ج٢٣ . قم: دار صدرا. [بالفارسية]

ملكيان، مصطفي. (١٣٧٩). درس الخطابة الروحانية في نهج البلاغة. طهران: معهد الرؤية المعاصرة. [بالفارسية]

موسوي زاده، سيد روح الله؛ احمدي فراز، محمد مهدي؛ آذربايجاني، مسعود؛ ناجي اصفهاني، همايون؛ شعربافچي زاده، محمدرضا و معماريان، ناده. (١٣٩٦). لماذا أنا (مقدمة لأساسيات الرعاية الروحية). أصفهان: منشورات جامعة العلوم الطبية. [بالفارسية]

موسوي زاده، سيد روح الله. (١٣٩٧). أبجدية الطبابة. قم: منشورات الكتاب. [بالفارسية]

موسوي زاده، سيد روح الله و حمله داري، سعيده. (١٣٩٩). لا ينبغي لي أن أصاب بالمرض. أصفهان: منشورات ثقافة الباحثين. [بالفارسية]

هارولد جي، كونيک. (١٣٨٦). هل الدين مفيد لصحتك؟ طهران: انتشارات العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية. [بالفارسية]

تعارض عدالت در سلامت معنوی بیماران صعب العلاج با تأکید بر نهج البلاغه

سید روح‌الله موسوی‌زاده[۱]، محمّد ترکان*[۲]

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۳/۲۸ **تاریخ پذیرش: ۱۴۰۱/۱۱/۰۱**

۱. استادیار معارف اسلامی، دانشگاه علوم پزشکی، اصفهان، ایران
۲. دانشجوی دکتری معارف اسلامی وعلوم سلامت، دانشگاه علوم پزشکی، اصفهان، ایران

چکیده

بیماری‌های صعب‌العلاج در ابعاد مختلف اقتصادی، خانوادگی، اجتماعی و روانی، تغییرات شدیدی را در بیمار و خانواده‌اش ایجاد می کند. این تغییرات در باورهای دینی بیمار منجر به تعارضات معنوی گسترده‌ای می‌شود. تعارضات معنوی در گستره بیماری‌های صعب‌العلاج موجب ایجاد باورهای نوپدیدی گردیده است. تأکید سازمان بهداشت جهانی مبنی بر وجود سلامت معنوی به عنوان بعد چهارم سلامت در کنار ابعاد جسم، روان و اجتماع، لزوم بازخوانی فرمایش‌های امام علی علیه السّلام در رفع تعارضات معنوی نوظهور را دوچندان می‌کند. در این بین، مسأله «عدالت» در ایجاد این تعارضات نقش بسزایی دارد. تجارب بالینی نگارندگان در بررسی این مقوله در ریز موضوعاتی همانند علت بیماری، خداوند و بیماری، حکمت بیماری، شر بودن بیماری، اعمال انسان و بیماری، در قالب سؤالاتی همچون «چرا من؟ چرا من که خوب بوده‌ام؟ چرا اکنون؟ چرا کودک من؟» در حوزه سلامت معنوی حکایت دارد. در این پژهش، مسأله عدالت، ضرورت قوانین طبیعی، رابطه متقابل شر و بیماری، قوانین لایتغیر الهی در ابتلا به بیماری از منظر نهج البلاغه متناسب با تعارضات معنوی عدالت بیماران در راستای سلامت معنوی آنان مورد تحلیل فلسفی و دینی قرار گرفته است.

کلیدواژه‌ها: عدالت، عدل الهی، عدالت و بیماری، سلامت معنوی، تعارض معنوی.

COPYRIGHTS
© 2022 by the authors. Lisensee PNU, Tehran, Iran. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY4.0) (http:/creativecommons.org/licenses/by/4.0)